التنظيم الشعبي والثورة الفكرية

بقلم رجاء النقاش

بعد أن قامت ثورة العراق ثم تبعتها ثورة دمشق أصبحت الثقافة العربية الآن في وضع جديد ، فكثير من القيود التي كانت تعرقل الفكر العربي أصبحت عديمة التأثير . لم تعد العواصم العربية تغلق أبوابها في وجه الانتاج العربي الذي يصدر في عاصمة أخرى . لم تعد الصلات بين الادباء والمفكرين في العواصم العربية الكبرى نوعا من الصلات غير الشرعية .

لقد فتح المد الثوري الابواب أمام الجميع ، وأصبح من الضروري أن يكون لهذا المد الثوري الكبير أثره الحي على جميع العواصم العربية المتحررة .

وبالنسبة للجمهورية العربية (وأنا أكتب هذا الكلام في منتصف مارس والجمهورية العربية تعني مصر فقط .. وربما أصبحت الجمهورية العربية تعني شيئا أكثر من هذا عند نشر هذه السطور) ... أقول : بالنسبة للجمهورية العربية هناك أكثر من مسألة أساسية في الميدان الثقافي يجب أن نناقشها ونفكر فيها بعد هذا المد الثوري الكبير .

ومسألة المسائل الآن هي الاتحاد الاشتراكي .

فاذا كان الاتحاد الاشتراكي بالنسبة للجمهورية العربية شيئا هاما قبل هذا المد الثوري العربي ، فهو الآن مدرسة حياة أو موت بالنسبة للثورة العربية في الجمهورية العربية . لقد علمتنا التجارب يوما بعد يوم أن الثورة لا يمكن أن تعتمد فقط على قيادة واعية مستنيرة ، وأن الثورة لا يمكن أن تعتمد على عقيدة واضحة محددة في ذهن بعض القادة والمسؤولين ، ولا يمكن أن تعتمد على قرارات ثورية تصدرها الدولة يوما بعد يوم كلما ظهرت الحاجة الى قرارات ثورية جديدة . ان كل هذه الاشياء هي دعائم أساسية للثورة . ولكن الدعامة الكبرى والتي تسبق غيرها في القيمة والاهمية هي التنظيم الشعبي .

والتنظيم الشعبي هو الحزب الثوري الذي يمكن أن تعتمد عليه الثورة في أداء رسالتها اليوم وغدا ... وعبر مراحل التاريخ المختلفة .

والحزب الثوري الجديد ، وهو الاتحاد الاشتراكي ، شيء آخر غير الاحزاب القديمة في مصر ، فالاحزاب المصرية القديمة كانت مدارس محدودة القيمة تقوم أولا وأخيرا على رباط هو مصلحة الجماعات المسيطرة على الحزب ، قبل أن تكون مدارس كبرى للشعب تعلمه العقائد العميقة والافكار الاساسية .

ولذلك كان من السهل أن تزول هذه الاحزاب مع ما زال من آثار العهد القديم ... مع الاقطاع والرأسمالية والنظام الملكي .

صحيح أنه كان ثمة أحزاب قوية التنظيم مثل الاخوان المسلمين ... ولكنها كانت تقف على نقطة تاريخية غير موفقة ... ولذلك كانت تسير في طريق معاكس لريح التقدم ، وكانت النتيجة أن عصفت هذه الريح بتنظيم الاخوان رغم دقته وخطورته وشدة نظامه .

ومنذ الثورة حتى الآن ... منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى اليوم ونحن نتعثر في البحث عن صورة دقيقة للتنظيم الشعبي المناسب . والحقيقة أن كل المحاولات لم تؤد الى نتائج ايجابية حتى الآن ، بل لقد أدى بعضها الى نتائج ضارة ... مثل تجربة الاتحاد القومي في عهد الوحدة ، هذه التجربة التي أتاحت بحكم قوانينها الفضفاضة لكثير من العناصر الرجعية والانتهازية أن تتصدر المراكز الحساسة في الاتحاد القومي . وقد كشفت مأساة الانفصال عن هذه الحقائق المؤسفة عندما تبين أن مأمون الكزبري وهو رئيس أول حكومة انفصالية كان رئيسا للجنة التنفيذية للاتحاد القومي بدمشق .

أما في مصر فقد ظهر أن الذين دخلوا الاتحاد القومي كانوا عناصر سلبية غير فعالة وانتهى الامر بأن مات الاتحاد القومي بما يشبه السكتة القلبية .

واليوم أصبح واضحا أن أي ثورة يلزمها تنظيم قوي لكي تولد ، وقد تستغني الثورة في مرحلة ميلادها الاولى عن التنظيم الشامل الضخم ، ولكن بعد نجاح الثورة فانه لا بد من وجود تنظيم على غاية من القوة والاحكام والعمق لحماية الثورة ، ولكي تستمر هذه الثورة في أداء رسالتها الكبرى دون ان تتحول الى نظام جامد صلب فاقد للحيوية الثورية المطلوبة .

وهذا هو الشيء الاساسي الذي ينتظره الجميع من الاتحاد الاشتراكي العربي .

ان الجميع ينتظرون أن يكون هذا الاتحاد تنظيما قويا عظيما ملائما لثورة قوية عظيمة . فمن الضروري أن يكون هذا التنظيم مدرسة كبرى للشعب ، يتعلم فيها عقيدته القومية والاشتراكية ... ويهتدي بهذه العقيدة في مواقف الحياة المختلفة .

على أننا يجب ألا نفهم هذا التنظيم الكبير على أنه مؤتمرات عامة تعقد وتلقى فيها الخطب وتنفض . كلا .

بل يجب أن نفهمه بمعنى يتسع لهذه المؤتمرات العامة ولا يقتصر عليها .

ويهمنا هنا أن نشير الى الجانب الفكري الذي يجب أن يتوفر في الاتحاد الاشتراكي . يجب أن يشرف الاتحاد الاشتراكي على اصدار دراسات نظرية عن عقيدتنا بوجهها القومي ووجهها الاشتراكي . وهذا هو الشيء الذي لم يحدث حتى الآن . وقد كان من الواجب أن يكون الجهاز الفكري في الاتحاد الاشتراكي نشيطا الى أبعد حد ... كان من الواجب أن يدرس القضية العربية بكل تفصيل ، فتكون هناك دراسات عميقة عن الواقع العربي ، وعن التنظيمات الشعبية المختلفة في الوطن العربي ، وعن المشاكل التي تواجه الشعب العربي في كل مكان سواء كانت هذه المشاكل اقتصادية مثل « المشكلة الزراعية أو مشاكل التنمية مثلا » أو مشاكل عنصرية « مثل مشكلة الاكراد » في العراق .

لم تصدر دراسات من هذا النوع ... ولم تصدر دراسات للمشاكل المحلية في مصر ، دراسات عامة دقيقة يمكن أن يستوعبها جميع المواطنين عن مشاكل مثل مشكلة السكان ، أو مشكلة الاصلاح الزراعي ، أو مشاكل محو الامية .

ولم تصدر دراسات عن التنظيم نفسه ، وما له من مشاكل ، وعلاقته بالتنظيمات الاخرى في الوطن العربي وفي العالم كله .

لقد كان هناك فكرة منذ سنوات تبناها بعض المسؤولين في القاهرة هي انشاء جمعية للدراسات الاشتراكية ، وتكون فعلا مشروع مبدئي كبير لهذه الجمعية ... ولكن المشروع ظل يتعثر ويتلاشى شيئا فشيئا حتى انتهى ومات .

مثل هذا المشروع يجب أن يعود الى الحياة في نطاق الاتحاد الاشتراكي . مثل هذا المشروع ينبغي أن يكون له وجود فعلي ، وأن تظهر آثاره بالنسبة للثقافة العامة ، داخل الاتحاد الاشتراكي أولا وخارج الاتحاد الاشتراكي بعد ذلك .

تلك بعض وجوه النشاط الحي التي يجب أن يقوم بها الاتحاد الاشتراكي في ميدان الحياة الفكرية ، حتى يساهم بدوره الكبير في اعداد الشعب لفهم الثورة وحمايتها . وحتى يساهم في اذابة كل ما علق بالشعب من آثار اللامبالاة والانصراف عن تيار الحركة الثورية ، اما عن عدم فهم ، واما لانعدام الوسيلة الدقيقة للمشاركة في هذا التيار . وحتى يساهم أيضا في القضاء على بعض الاتجاهات الفكرية التي تظهر في بعض الصحف وبعض اجهزة الاعلام الاخرى من ابتعاد وعدم فهم أو معرفة بحقيقة الثورة وحقيقة موقفها من مختلف القضايا الكبرى .

وحتى يساهم أيضا في القضاء على الكثير من العقد التي ترسبت في بعض النفوس خلال السنوات العشر الماضية ، ومن أهم هذه العقد وضع المثقفين عموما مع الثورة ، ان كثيرين منهم لم يتح لهم حتى الآن أن يعملوا عملا مباشرا في خدمة المبادىء الثورية لانعدام الفرصة الصحيحة لهذا العمل ... وهي وجود التنظيم الذي يكشف عن المواهب والامكانيات ، ويفسح لها طريق العمل والتأثير . ومن هذه العقد هؤلاء المثقفون الذي وقفوا من الثورة موقف العداء في يوم من الايام وعلى وجه الخصوص قبل عام ١٩٥٦ فأصبح بينهم وبين الثورة منذئذ شك متبادل . ومن بين هؤلاء المثقفين عناصر مخلصة كان موقفها القديم من الثورة راجعا الى أن الثورة في مرحلتها الاولى لم تكن واضحة الاتجاه ... أما بعد أن اتضح اتجاهها الشعبي العميق فقد آن الآوان أن ينتهي مثل هذا الموقف ، بأن يجد هذا النوع من المثقفين مكانهم ضمن اطار الاتحاد الاشتراكي ، للمساهمة الصادقة المخلصة في بناء هذا التنظيم الشعبي الكبير ، ومثل هذا الموقف يجب أن يتم بأسرع وقت حتى تنتهي هذه الشكوك القديمة التي لم يعد لها أي مبرر .

مكتبة المعارف في بيروت

ص.ب ١٧٦١ تلفون ٢٢٨٨٠١

* * *

تعلن عن صدور أروع الانتاج الادبي والفكري

ق.ل.		
٢٥٠	**شموع المعبد** شعر	فوزي عطوى
٢٠٠	**دفتر الحب** شعر منثور	هند سلامه
٣٠٠	**فن الحب والحياة**	سلامه موسى
٤٥٠	**الوان من الحب**	انيس منصور
٨٠٠	**شيء في صدري**	احسان عبد القدوس
٥٠٠	**في بيتنا رجل**	احسان عبد القدوس
٥٠٠	**الشقيقتان**	تولستوي وترجمه ميشال سليمان
٢٥٠	**طه حسين والشيخان**	محمد توفيق عمر
١٢٠٠	**قصة الادب في الاندلس** ١ ـ ٢	محمد عبد المنعم خفاجه
١٥٠	**موعد في الفضاء**	دوكوتشاييف
١٥٠	**ما هي النهضة**	سلامه موسى

وقريبا جدا

مختارات سلامه موسى	سلامه موسى
زواج الحب	الدكتوره ماري ستوبس
غرام في الجامعة	وفيق العلايلي

وأخيرا ... وبعد هذه الملاحظات العامة يجب ألا يخضع الاتحاد الاشتراكي في تنظيمه الجديد لمقياس « الكم » ، بل يجب أن يخضع أولا وقبل كل شيء لمقياس « الكيف » ... فليس المهم هو العدد الذي يشترك في الاتحاد الاشتراكي ، ولكن المهم حقا هو نوع العناصر التي تشترك في هذا الاتحاد . ان الاتحاد الاشتراكي يمكنه أن يقوم على عدد قليل ولكنه قوي وفعال . يمكنه أن يقوم على عناصر محدودة ولكن ذات قدرة على التأثير الحي الصادق ، هذا التأثير الكبير الذي يمكن أن يساعد على ايجاد جو ثوري تتحقق فيه كل المبادىء الكبرى التي تؤمن بها الثورة وتنادي بتحقيقها .

اننا نلاحظ اليوم أن الثورات عندما تقوم في وطننا العربي يكون أول هدف لها هو الاستيلاء على الاذاعة ، وبعد أن تنجح الثورة يكون أول قرار تصدره بعد النجاح هو اغلاق الصحف القديمة وفتح الطريق أمام صحف جديدة تلائم العهد الثوري .

وهذا الموقف الذي لمسناه بوضوح من خلال التجارب الثورية الاخيرة في صنعاء وبغداد ودمشق يكشف لنا عن الاحساس العميق الذي تحس به كل ثورة نحو الاجهزة التي تسيطر على العقل العام . وهو احساس صادق ، فلا بد من نقل الثورة من النخبة أو الصفوة الى عقل الجماهير ووجدانها ، ونقل الثورة الى الجماهير لن يكون فقط في صورة مصالح مادية تتحقق بل في صورة فهم عميق للفلسفة الثورية التي تقف وراء هذه المصالح ... هذا الفهم الذي سيؤدي الى الايمان بالثورة والاستعداد لحمايتها حتى ولو لم ينل الانسان من وراء الثورة مصلحة مادية مباشرة .

وقد استطاعت الثورة العربية في مصر أن تخلق مبادىء عامة سليمة وجوهرية في ارتباطها بحقيقة التطور الكبير الذي يحتاج اليه الوطن العربي .

واستطاعت الثورة العربية في مصر أن تنجب قائدا عظيما شديد الايمان بأهداف الامة العربية هو جمال عبد الناصر .

ولكن الثورة العربية في مصر ما تزال بحاجة قوية عاجلة الى تدعيم التنظيم الشعبي ليكون جامعة حقيقية عظمى يتخرج منها أبناء الشعب على أساس فكري عقائدي راسخ قوي ... على أساس عربي اشتراكي سليم .

والامل كل الامل في الاتحاد الاشتراكي الذي نرجو أن يكون سدنا المعنوي العالي . خاصة في هذه المرحلة التي بلغ فيها المد الثوري العربي درجة من القوة لم تتح على الاطلاق للامة العربية ربما منذ الثورة الاسلامية الى اليوم .

وبالتنظيم الشعبي العقائدي الدقيق ... نضمن استمرار هذا المد العظيم ونموه يوما بعد يوم .

بهذا التنظيم نضمن انتصار الثورة العربية تحت رايتها العظيمة ... راية الوحدة والحرية والاشتراكية .

القاهرة — **رجاء النقاش**

رسالة الى سوريا

رفاقنا في السفر ! !
تعفرت جباهنا ..
ولم يزل على الطريق خطونا
وكلما مضت بنا
يسقط من جبهتنا رفيق
أرهقه التسيار
وارحمتا ! ! والله قد أوحشتنا
لكنما حروفك الوضاء
تنقش في صدورنا المضاء
« الصمت والاصرار والفداء »

*

غايتنا ... ! !
الملتقى غدا
الوقت من ذهب
أسرع خطاك .. لا تقل : مهلا
فما أقتناه من يظنه سهلا

*

على اليمين صيحة .. تيار
على اليمين نار
وفوق قمة الجبل
طوفاننا .. هذا الذي لم يحتمل
جراحنا .. تلك التي لم تندمل

*

يا ثورة .. يا ماردا .. يا قمه
يا قلعة توشحت بالهمه
فليندفع من كل صوب فوج
يد .. يدان .. كثرة تفوق كل عد
سواعد مفتولة تجوز كل حد
ولتكتبوا على الثرى ..
وعند كل منحنى ..
غدا .. غدا .. غدا لنا

*

ومن هنا
لكم من الضفاف عندنا أغنيه
عادت على رغم العدا سوريه

القاهرة — **عبد العزيز النعماني**